٥ ـ هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الالمانى فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

المأخوذون بالعالم الثانى

وترامى زارا يوماً بخياله الى ما وراء الانسانية ، فتراءى هذا العالم لديه كما يراه جميع المأخوذين بالعالم الثانى خليقة رب متألم مضطرب ، فقال :

رأيت الدنيا كأنها أحلام نائم أبدعت أبخرة حوّالة متلونة ترتد عنها ألوهية النفس على غير رضى . وقد لاح لى الخير والشر والافراح والاحزان وذاتى وذات الآخرين كما تلوح الأبخرة الملونة لعين المبدع ، ولعل المبدع أراد أن يتحول ببصيرته عن ذاته فأوجد العالم

لا ينتشى المتألم بمسرّة أشد من مسرّته حينما يُعرض عن الآمه وينسى نفسه . هكذا تكشف لى العالم يوماً فرأيت مسرته تمثلاً ونسياناً وهو يتقلب أبداً فى نقائضه مَمكَساً للتناقض الأبدى

نظرت إلى العالم يوماً فلاح لى مسرةً مسكرة يتمتع بها مبدع غير كامل خلقتُه أنا ، فجاء كمثل أعمال البشر حِبِنَةً بشرية

ما كان هذا الآله إلا إنساناً ، بل جزءا من شخصية إنسان ، لأنه نشأ من ترابى ومن لهبى . إنه لشبح من هذا العالم لا من وراء هذا العالم

شهدت ذلك ، أيها الأخوة ، فتفوقت على ذاتى بآلامى ، وحملت ترابى إلى الجبل حيث أوقدت ناراً تشع نوراً فاذا بالشبح يتوارى مبتعداً عنى

فاذا ما آمنت الآن بمثل هذا الشبح ، فلا يكون إيمانى إلا توجعا وصغارا ، ذلك ما أقوله للمأخوذين بالعالم الثانى

ما أوجدت العوالمُ الأخرى فى هذا العالم سوى الآلام والشعور بالعجز ، ذلك ما أوجدته تلك العوالم فأوجدت معه هذا الجنون السريع الزوال بسعادةٍ ماذاقها من الناس إلا أشدهم آلاما

إن المتعب الذى يطمح الى اجتياز أبعد مدى بطفرة واحدة بطفرة قاتلة ، وقد بلغت به مسكنته وجهالته حداً لا يستطيع عنده أن يريد ، انما هو نفسه مبدع جميع الآلهة وجميع العوالم الأخرى

صدقونى ، أيها الاخوة ، إن الجسد قد قطع رجاءه من الجسد ، فغدا يجس بأنامله مواضع الروح المضللة ، وذهب يتلمسها من وراء الحواجز القائمة على مسافة بعيدة

صدقونى ، أيها الأخوة ، إن الجسد قد تملكه اليأس من الأرض فسمع صوتاً يناديه من قلب الوجود ، فأراد أن يخترق برأسه أطراف الحواجز ، بل حاول العبور منها إلى العالم الثانى ، غير أن العالم الثانى جد خفى عن الناس لأنه بتخثته وابتعاده عن كل صفة إنسانية ليس إلا سماء من العدم . إن قلب الوجود لا يخاطب الناس إذا لم يكلمهم كانسان

والحق إنه ليصعب علينا إثبات الوجود واستنطاقه . أجيبوا أيها الاخوة ، أفما يلوح لكم أن أغرب الأمور أثبتها دليلاً ؟..

أجل ! إن هذه الذات على مافيها من تناقض واختلال تثبت بكل جلاء وجودها فتبتدع وتعلن ارادتها لتضع المقاييس وتعين قيم الأشياء ، وما تطلب هذه الذات فى اخلاصها الا الجسد حتى فى حالة استغراقه فى أحلامه وتحفزه للطيران بأجنحته المحطمة

إن هذه الذات تتدرب على الأفصاح عن رغباتها باخلاص ، وكلما ازدادت تدرباً ألهمت البيان للاشادة بالجسد وبالأرض

لقد علمتنى ذاتى عزة جديدة أعلمها الآن للناس : علمتنى ألا أخفى رأسى بعد الآن فى رمال الأشياء السماوية ، بل أرفعها رأساً عزيزة ترابية تبتدع معنى الأرض

إننى أعلم الناس إرادة جديدة يتخيرون بها السير على الطريق التى اجتازها الناس عن غباوة من قبلهم ؛ أعلمهم أن يطمئنوا إلى هذه الطريق فلا تنزلق أرجلهم عنها كما انزلقت أرجل الأعلاء المتهكين ، وما هؤلاء إلا من ابتدعوا الأشياء السماوية واخترعوا قطرات الدماء المراقة لافتداء البشر . على أن هذه السموم التى أخذوا بلذتها ورهبتها لم يستخرجوها إلا من الجسد ومن الأرض

لقد شاءوا الفرار من الشقاء وتراءت لهم الكواكب بعيدة صعبة المنال فوجوا يدفعون بالزفرات قائلين : وا أسفاه ! لمَ لا تنفتح أمامنا سبلٌ فى السماء ننسحب عليها إلى وجود آخر وسعادة أخرى

فى ذلك الحين اخترعوا أوهامهم وكؤوسهم الصغيرة المترعة بالدماء . . وحسب هؤلاء الناس فى عقوقهم أنهم فازوا بالنعيم بعيداً عن جسدهم وعن الأرض ؛ وتناسوا أن تنعمهم ورعشة ملذتهم إنما نشأت من جسدهم ومن هذه الأرض[1]

إن زارا ليشفق على الأعلاء فلا يغضب لما أوجدوه من وسائل السلوان ولا يتمرمر لأنهم عقّوا جسدهم وأرضهم ، بل هو يرجو لهم الشفاء والتغلب على أنفسهم ليوجدوا لهم أجساداً أرق من أجسادهم

إن زارا لا يغضب أيضاً على الناقه الذى يحنّ إلى وهمه فيذهب فى منتصف الليل ليطوف بقبر إلهه ، ولكنه لا يرى فى دموع هذا الناقه إلا أثر المرض والجسم المريض

لقد وجد فى كل زمان كثير من المرضى المستغرقين المتشوقين فهم يكرهون إلى حد الهوس كل من يطلب المعرفة ، ويكرهون أبسط الفضائل وهى فضيلة الاخلاص

إنهم يلتفتون دائماً إلى الوراء ، إلى الأزمنة المظلمة ، إذ كان للجنون وللايمان حلتهما الخاصة ؛ فكان الاله يتجلى فى هوس العقل ، وكانت كل ريبة خطيئة

لقد عرفتهم جد المعرفة ، أولئك المتجلين على صورة الله ومثاله ، فتيقنت أن جميع رغباتهم تتجه الى أن يؤمن الناس بهم وأن يصبح كل شك فيهم خطيئة ، وما فات مداركى ذلك الايمان الذى يدّعون رسوخه فيهم . فانهم لا يؤمنون لا بالعوالم الأخرى ولا بقطرات الدماء تفتدى العالم ، بل هم كسائر الناس يعتقدون بالجسد ، ويرون أن أجسادهم نفسها هى الكائن الواجب الوجود

غير أن هؤلاء الناس يرون الجسد كائناً معتلا ، فيودون أن يبارحوا جلودهم وذلك ما يدفعهم إلى الاصغاء للمبشرين بالموت وما يهيب بهم إلى التبشير بالعوالم الأخرى

أما أنتم ، يا إخوتى ، فاصغوا الى صوت الجسد الذى أبلّ من دائه لأن هذا الجسد يخاطبكم بصوت أنقى وأخلص من تلك الأصوات

ان الجسد السليم يتكلم بكل إخلاص وبكل صفاء ، فهو كالدعامة المربعة من الرأس حتى القدم وليس بيانه إلا إفصاحاً عن معنى الأرض

هكذا تكلم زارا

المستهزئون بالجسد

لأقولنّ للمستهزئين بالجسد كلمتى فيهم : إن واجبهم ألا يغيروا طرائق تعاليمهم ، ولكن عليهم أيضاً أن يودّعوا أجسادهم فيستولى على ألسنتهم الخرس

يقول الطفل : أنا جسدٌ وروح . فلماذا لا يتكلم هؤلاء الناس كالأطفال ؟ أما الانسان الذى انتبه وأدرك ذاته فيقول : إننى بأسرى جسد لا غير ، وما الروح إلا كلمة أطلقت لتعيين جزء من هذا الجسد

ما الجسد إلا مجموعة آلات مؤتلفة للعقل ، ومظاهر متعددة لمعنى واحد . إن هو إلا ميدان حرب وسلام ، فهو القطيع وهو الراعى

إن آلة جسدك إنما هى أداة عقلك الذى تدعوه روحا ، أيها الأخ ، إن هو إلا أداة صغيرة وألعوبة صغيرة لعقلك العظيم

إنك تقول : (أنا) ، وتنتفخ غروراً بهذه الكلمة ، غير أن هنالك ما هو أعظم منها ، أشئت أن تصدق أم لم تشأ ، وهو جسدك وأداة تفكيره العظمى ؛ وهذا الجسد لا يتبجح بكلمة

(١) ليذكر القارئ الكريم ما وجهنا انتباهه إليه فى مقدمتنا ، فهاهو ذا نيتشه قد بدأ يوضح علة جحوده ، فهو يرى معبود الناس قائماً من وهمهم أو بتعبير آخر أن الانسان قد خلق الله فصوره من ترابه ونفخ فيه نسمة من لهبه . ولو أننا وقفنا عند كل فكرة جانحة من أفكار نيتشه لتحللها ونرجع منها إلى إيماننا المكين لاضطررنا إلى التحول من الترجمة إلى البحث الذى وعدنا بالقيام به بعد الفراغ منها . غير أننا لا نجد بداً الآن من دعوة القارئ إلى الامعان فى الصفات التى تتراءى لنيتشه كأنها هى الألوهية فيتأكد أن الاله الذى يهاجمه هذا الفيلسوف هو غير إلهنا ، وعلمه الثانى هو غير عالمنا الروحى الذى يقيم فينا قبل أن نقيم فيه

إن نيتشه كان قد خرج على الدين الذى اقتبسته الآرية عن السامية فشوهته ، فأصبح بعد ذلك طريد فكره الجبار ينتقد آثار الدين فى المجتمع ، وقد وقف موقفه السلبى فلاهو يكت صراخ نفسه المتمردة ، ولا هو يهتدى إلى الدين الحق الذى تسكن الروح إليه وينتظم المجتمع بأحكامه ؛ وها نحن نورد كلمة لنيتشه قالها وهو يكتب زرادشت وفيها عبرة للمؤمنين وللجاحدين

فى حديقة من حدائق لوزرن جلس نيتشه إلى السيدة (لو سالومه) وهى حسناء روسية ملكت لبه ، وفى حديثه معها ملكه الصمت ؛ فرأت لو دموعه تنهمر وبدأ يقص عليها تاريخ تطوره الفكرى ؛ فوصف لها سنى فتوته التى قضاها فى التعبد ، ثم عرض مراحله فى شكوكه واضطرابه فى عالم لا بد من إسرار الحياة فيه دون أن يكون لهذا العالم إله . . . فقال ، والسيدة تنصت دونت قوله للتاريخ :

« هكذا بدأت مغامراتى الفكرية وما وصلت إلى محجة منها ، فالى أين أتجه ... أفلا يجدر بى أن أعود إلى الايمان ، أو أن أوفق إلى إيمان جديد ؟ على أنه خير لى إذا أنا لم أوفق إلى الوصول لهدف أن أعود أدراجى من أن أقف فى حيرتى » اه . نقلا عن كتاب دانيال هالاڤى

أنا ، لأنه هو (أنا) ، هو مُضمر الشخصية الظاهرة

إن ما تتأثر الحواس به وما يدركه العقل لا نهاية له فى ذاته ، غير أن الحس والعقل يحاولان اقناعك بأن فيهما نهاية الأشياء جميعها ، فما أشد غرورهما !

ما الحس والعقل الا أدوات وألعوبة ؛ والذات الحقيقية كامنة وراءها مفتشة بعيون الحس ومصغية بآذان العقل

إن الذات ما تبرح مفتشة مصغية ، فهى تقابل وتستنتج ثم تهدم متحكمة فى الشخصية سائدة عليها ، فأن وراء إحساسك وتفكيرك ، يا أخى ، يكمن سيد أعظم منهما سلطاناً ، لأنه الحكيم المجهول ، وهذا الحكيم إنما هو الذات بعينها المستقرة فى جسدك وهى جسدك بعينه أيضا[1]

ان فى جسدك من العقل ما يفوق خير حكمة فيك ، ومَن له أن يعلم السبب الذى يجعل جسدك بحاجة الى خير ما فيك من حكمة

ان ذاتك تهزأ بشخصيتك وبألاعيبها قائلة : — ما هى خطرات الفكر وتسامية إن لم تكن جنوحاً الى هدف ، أفلست أنا رائدة الشخصية وملهمة أفكارها ؟

تقول الذات للشخصية : — اشعرى بألم ، فتتألم وتفتكر بالتخلص من هذا الألم وقد تحتم عليها أن تتجه الى هذه الغاية

وتقول الذات للشخصية — اشعرى بالسرور ، فتسر وتفتكر بأطالة أمد هذا السرور ؛ وقد تحتم عليها أن تتجه الى هذه الغاية

لى كلة أقولها للمستهزئين بالجسد ، وهى أن احتقارهم انما هو فى الحقيقة حرمة واعتبار ، إذ من هو يا ترى موجد الاحترام والاحتقار والتقدير والارادة ؟

ان الذات المبدعة أوجدت لنفسها الاحترام والاحتقار كما أوجدت اللذة والألم ، ان الجسم المبدع أوجد العقل لخدمته كساعد يتحرك بارادته

انكم لتخدمون الذات الكامنة فيكم حتى فى جنونكم وفى احتقاركم . وأنا أقول لكم أيها المستهزئون بالجسد إن ذاتكم نفسها تريد أن تموت ، وقد تحولت عن الحياة لأنها عجزت عن القيام بما كانت تطمح اليه ، وما أقصى رغباتها الا ابداع من يتفوق عليها ، ولقد مضى زمن تحقيق هذه الرغبة ، لذلك تطمح ذاتكم الى الزوال أيها المستهزئون بالأجساد

إن ذاتكم أصبحت تتوق الى الزوال ، وهذا ما يدفع بكم إلى الاستهزاء بالأجساد إذ قد امتنع عليكم أن تخلقوا من هو أفضل منكم

ان هذا العجز قد ولد فيكم النقمة على الحياة والأرض . وها هى ذى تتجلى شهوة فى لحظاتكم المنحرفة دون أن تعلموا

إننى لا أسير على طريقكم أيها المستهزئون بالأجساد ، لأننى لا أرى فيكم العبر الذى يؤدى الى مطلع الانسان الكامل

(يتبع) فيلكس فارس

(١) أفلا يرى القارىء الكريم إثبات واجب الوجود فى محاولة إنكاره والايمان الفكرى الأسمى فى أشل منطق وأصرح جحود ؟ ذلك هو رد الفعل الذى أشرنا اليه فى مقدمتنا ، فان الايمان الغربى قد اعتبر الجسد آلة شهوة محتقرة يجب إذلالها ، فأنكر الحياة (وما الحياة فى نظر المؤمن إلا مقدمة للخلود) وما ثار نيتشه إلا على هذا التصور للكيان الانسانى ، فهب يقلب ظاهره باطناً وباطنه ظاهراً ، ويشطره إلى ذات وإلى شخصية معتبراً الشخصية عقلا وإدراكا زائلين وقائلا بأن الجسم بما فيه من حوافز مجردة خفية إنما هو بنفسه الذات الواجبة الوجود التى تندفع إلى التكامل لتبلغ بالانسان مرتبة الألوهية

هذه كلة لم نر بداً من الاتيان بها وهى جد موجزة ، ولكنها ستكون مداراً لبحثنا عند ما ننتهى من ترجمة فيلسوف الغرب الكبير لنأخذ من إلحاده دليلا له شأنه على صحة إيمان الشرق بالواحد الأحد وبما نفخ فى الأجساد من نسمة الحياة الخالدة

اصدار الفرصة الأدبية شهراً آخر

كتب بقلم محمد عبد الله عفاف

مصر الاسلامية

ثمنه ١٥ قرشاً ويباع بخصم ٣٣٪ أى بـ ١٠ قروش

قصص اجتماعية

ثمنه ١٠ قروش ويباع بخصم ٤٠٪ أى بـ ٦ قروش

ابن خلدون حياته وتراثه

ثمنه ٨ قروش (مجلداً بالكرتون)

وثمن الثلاثة كتب معاً ٢٠ قرشاً أى بخصم ٤٠ ٪

عدا البريد ، وهو قرشان عن كل كتاب داخل القطر وأربعة خارج القطر والثلاثة كتب ٥ قروش فى الداخل وعشرة فى الخارج ويطلب من مجلة (الرسالة) ولجنة التأليف والترجمة بشارع الكردانى ومكتبة النهضة بشارع الدابغ وباقى المكاتب الشهيرة

وطلبات الجملة من المؤلف تليفون ٤٤٦٨٣